الراهبة

قصة مسرحية فى فصل واحد

بقلم الآنسة جميلة العلايلى

المشهد : إيزيس راهبة عذراء جميلة ساحرة فى الخامسة والعشرين من عمرها ، جالسة تحت ظل شجرة كثيفة بعيدة عن بناء الدير وحديقته فى طريق أشبه بالصحراء الموحشة ترى المغزل فى بطء وتسند رأسها الجميل إلى يدها البضة محدقة فى الأفق ببصر سارح وذهن شارد ، ثم تحول بصرها لترمق طيراً رف عليها ثم حلق بعيداً ، وأخيراً تغض الطرف لتخفى دموعها التى بدأت تقبل وجنتيها فى استحياء ولا تجد من قلبها غير بسمة شاحبة مريرة

* * *

تفاجئها زميلة لها راهبة دميمة قد جاوزت الأربعين من عمرها ، عليها طابع العقل الرصين ، تتمشى فى هوادة حتى تقف بجانبها فتضع يدها على كتفها فى حنو قائلة بصوت خفيض بطئ :

— إيزيس، طال بك المكث هنا والجو مكفهر غير بهيج

إيزيس (تنظر إليها فى بطء ثم تقول بصوت أشبه بنغم الحلم العميق) — بالعكس ، ما رأيته أبهج منه اليوم .. أنظرى إلى هذا الغمام! تأمليه . تأمليه جيداً . ألا ترين اليقظة الحارة تسرى فى شرايينه لتحبو الكون حلماً يحمل خلاصة الرجاء والحنين ؟ ...

كاميليا (بلهجة التخابث) — ما عهدتك هكذا تحلمين بمعانى الدنيا وتخرجين من يقظة الحقيقة القدسية ؟

إيزيس (متنهدة وقد خانتها مداسمها) — ما زلت أجهل يا أختاه الفارق بين اليقظة والحلم ، نحن نحلم دائماً حتى فى يقظتنا ، لذلك أعتقد أن اليقظة هى الحلم الصريح والحلم هو اليقظة المتنكرة

كاميليا (تجلس بجانبها حانية) — أراك فى هذه الأيام تحنين إلى العزلة ، عزلة سكان الأرض (تشير إلى مغزلها) حتى شغلك يثبت أنك لاهية عنه ... ما الخبر ؟ هل من جديد ؟

إيزيس (فى هدوء) — كاميليا ... (يخونها إحساسها المبهم الغامض فتبكى بصوت خفيض)

كاميليا (فى حرارة) — ربّاه، أى شيطان يراودها ؟ إيزيس هيا قومى إلى محرابك ليعود إليك

صوابك فلا شك أن الشيطان قابع فى هذا المكان الذى ملأه بعبير السحر الكاذب والحلم الموهوم (يحاول إيمانها)

إيزيس (تمتنع عن القيام) — كاميليا .. إستمعى إلى . تعلمين أننى لجأت إلى الدير هرباً من أضاليل الجموع ، وتخلصاً من الذئاب البشرية التى تجرى وراء الفريسة النسوية فى كل مكان ... هربت لأن الله بقدر ما منحنى من جمال ، وهب الآخرين جشع الجسد وضعف النفس . وقد نزعت عنى كل رغبة بشرية وتحررت من قيود كل شهوة دنيوى لاعتقادى أن السعادة فى خلو البال وتحرر الجسد من النزعات. أجل فررت من الرياض النضرة العامرة بالأمانى والأحلام ولجأت إلى الصحراء المقفرة مهبط الحقائق والسلام ... ولكننى أدركت أخيراً أن كل حياة مهما تنوعت صورها ناقصة مبتورة — كاميليا — أصدقينى ... ألا تشعرين بحاجة ماسة إلى شىء مجهول . ألا تحسين فى أعماق صدرك بعذاب الحرمان؟ ألا توسوس لك نفسك أحياناً أن تدفنى ما تبقى من عمرك لقاء بعض أيام هنيئة مليئة بأعذب الآمال

كاميليا (متهدة فى حرارة) — ولكن هذا الأمل عبث يا إيزيس ، لقد وهبنا أنفسنا للعذراء ، وليس من حقنا أن نسترد الهبة .

إيزيس (فى شبه ثورة) — العذراء لا تحلل الباطل أبداً ... هذا وهم ... توارثته الأجيال. لا يمكن أن تكون العذراء أنانية وهى أطهر من الطهر ... كيف تحرّم علينا حقاً مشروعاً ؟

لقد تمتعت العذراء بحب وحيدها وتنعمت به إلى حين ... ذاقت الحب والأمومة . . .

كاميليا (متكلفة منطق الحكمة) — اغفر لها يارب (تشير إلى الصليب) يايسوع رد إليها صوابها

إيزيس (فى هدوء) — لست مجنونة . بل أنا اليوم أعمق فكراً وأغزر إحساساً . . . لقد خلقنى الله لأقدم رسالة الكل إلى الكل ، ولشد ما أعجب كيف يمنحنى الله حقاً ويحرمه على البشر !

كاميليا (تقاطعها بوضع يدها على فمها) — كفى كفى لقد ازددت شططاً . حذار أن تسمعك الأم. إنها لا ترحم مطلقاً وإذا غضبت لا ترضيها صلاة أعوام طوال ... لأنها تغضب لليسوع المهان ... قومى لنصلى معاً ولينفر لك الرب ، وليشفع لك يسوع

إيزيس (بصوت اليقين) — الرب يعلم حقيقة السرائر ويسوع يدرك الحقيقة . أما نحن فجهلاء آثمون.. نحارب الإثم بالإثم ونقول ذاك هو الإيمان. ما أفظع هذا ! قومى إلى محرابك يا أختاه ، لأن من يخاف لهب الشمس وبرد الشتاء ويفر من الوحوش لا يبلغ عمق الحقيقة أبداً ... أبداً

كاميليا — أى حقيقة يا بلهاء ؟ الحقيقة هناك ... تنتظرك فى معبدك القدسى تحت مصباح العذراء. أنظرى (تشير إلى الصليب المعلق على صدرها) هذا علامة الحقيقة

إيزيس (تهز رأسها مستنكرة ... يترامى إليهما صوت ناقوس الدير)

كاميليا — الصلاة ... هيا

إيزيس — دعينى . . . لا يمكننى الصلاة الآن ...

كاميليا — عفوك يارب .. شد أزرها يايسوع. إهربى من الشيطان يا أختاه ... وتعالى معى لتستردى إيمانك المفقود

إيزيس — من قال لك إننى فقدت إيمانى ؟ ومن أنت حتى تعرفى خفايا الضمائر ؟ ألله وحده يعلم سرائر القلوب ... ألا يحتمل أن يكون الشرير

السفاك أكثر إيماناً من رجل يتزيا بمسوح الراهب ؟

كامليا (تجفف مداممها) — إيزيس .. حسبك. قومى واعتمدى على ذراعى

إيزيس — سأصلى هنا ... كل بقعة فى الأرض يجب أن تنال حظها من عبادة الله لأنه موجود فى كل مكان وهو يشرف على المحراب القدسى كما يشرف على دار البغى ، يمنح الأول رضاه، ويهب الثانى حكمة الأناة ...

(يتكرر دق الجرس)

كامليا (فى ثورة الغاضبة) — عجلى يا إيزيس الصلاة تدعونا ...

إيزيس — اذهبى أنت ...

(يتراءى إليها نشيد الراهبات، يبدو طيف راهب يتمشى فى طريقهما حتى يبلغهما ... ويفهمهم عن مشيته أنه كان ينشدها) .

المشهد الثانى

كامليا . إيزيس . الراهب

الراهب — طال بحثنا عنكما ... ألم يبلغكما نداء الصلاة ؟

كاميليا — التوت ساق إيزيس فصعب عليها السير ، وها نحن آن نتأهب للذهاب إلى الصلاة .

إيزيس — (محتدة) لم الكذب يا كاميليا ؟

كاميليا — (تنظر إليها عابسة غاضبة) قلت الصدق يا إيزيس ... أيخجلك أن يعلم الأخ أنك طفلة لا تحسن المسير ...

إيزيس — (متهكمة) أعرفت أننا لا نمتاز عن أبناء الدنيا بغير قوة الكبت ، وبراعة التلفيق .

الراهب — ما معنى هذا ؟ لم أفهم شيئاً .

إيزيس — معناه أننا نكذب أيضاً وقد نسرق وقد نقتل ونظلم. ولكن بأسلوب غير أسلوب الناس. (تضحك فى شبه جنون وسخرية)

كاميليا — لا شك أنه أصابك مس من جنون لا بد من مخابرة الأم (تنصرف)

الراهب — (بصوت لطيف) يا أختى الحسناء أزاك غاضبة ثائرة، علام ؟...

إيزيس — بدأت أفهم الحياة .

الراهب — خلقت الحياة لكى تكون خادمة لك وأعتقد أن الرب يوم ولدت خلقك على مثال العذراء جمالاً وطهراً ، لا أكتم عنك أننى أزداد إيماناً وقوة كلما لمحت وجهك النضير ... آه ليت الدين حلل للراهب أن يأنس بالجمال كما يأنس به ابن الحياة .

إيزيس — (متغابية) هل تعنى أنك تحبنى ، وتشتهينى .

الراهب (فى ثورة وحماسة) — كل الحب والشهوة

إيزيس (فى دهاء المرأة) — وإذا طلبت منك الفرار من هنا لنعيش سويا كأبناء الحياة ، أتقبل ؟

الراهب (يتردد ويطرق مفكراً ملياً ثم يقول) — ولم لا نجمع بين الدين والمتعة ؟ ... لم لا أقنع بأخوتك مع تأدية رسالتى الدينية ...

إيزيس (متماكرة) — تريد أن تتمتع بى وأنت فى لباس الراهب ؟

الراهب — متعة بريئة طبعاً

إيزيس — وهل تفرق بين النظرة النهمة والاستمتاع الدنئ ؟

الراهب (خجلا) — هناك فرق شاسع بين نظرتى العاطفية إليك وبين استمتاعى بك

إيزيس (فى جد) — لا أفهم هذا أيها الراهب، والذى أفهمه أنك أصرح ما عرفت من الرهبان ... هم يحبسون شهواتهم وقد يتنفسون فى خفاء ونفاق

أما أنت فقد استطعت أن تكون أكثر شجاعة وجرأة . . . ميزة طيبة على كل حال . . . تقدرها المرأة . . . لكن فى غير المعابد . . لأن الرجل الذى يعجز عن كبت شهوته فى المعبد أكثر خطراً على المجتمع من الرجل الذى يقضى طوال النهار والليل فى دور البغايا

الراهب (يحمر وجهه وتبرق عيناه ويتمتم) — أراك أسأت فهم مرماى ؟

إيزيس — ظن ما شئت

وتركته فى مكانه بعد أن رمته بنظرة شزراء وراحت تسير الهوينى . . . تسمع صوت ناى بعيد يقترب منها رويداً . . . رويداً . . . فتتابعه . . . تقف بغتة وهى تشد حبل صليبها وتقول: يا يسوع . . . ما هذا الصوت ؟ كأنه صوت الشيطان جاء ليردنى إلى حظيرة الذكرى المريرة . . . آه . . .

(يقترب الصوت حتى تتبين أنغامه ويتراءى لها صورة الطيف)

(تقول بذعر) إنسان هنا . . تحاول الفرار (الصوت يستوقفها) . . . يا أختاه . . . يا أختا إيزيس (تقف) من يناديني ؟ . . . يواجهها رجل فى زى رعاة الغنم سقيم الجسم شاحب الوجه فى صوته رنة حزن عميق دفين . . .

المشهد الثالث

الراهبة . إيزيس . الرجل

الرجل — أنا

الراهبة — أظامئ أنت أم جائع أم تائه تبحث عن الطريق ؟

الرجل — ظامئ إلى الحقيقة ، راغب فى الموت ولكن بعد أن . . . (يتهدج صوته تحت تأثير اضطراب قوى فيتلعثم ويسكت ثم يقول بعد عناء) أهذا الذى أراه هو الدير ؟

الراهبة — آه ، تريد أن تترهب لتتعلم الحقيقة من الدير وتعتكف فى المحراب لتتطهر من الرجس الذى تظنه يقطن فى كل بقعة من بقاع الأرض ؟

خير لك يا سيدى أن تبحث عن الحقيقة فى هذا المكان المقفر فإن فيه معنى لها . إبحث عن الحقيقة فى النور وفى الضوضاء ، وابحث عنها فى المراقص والملاهى ودور المفاسد . . . هناك النفوس عارية تعيش بحقيقتها الأصيلة وإن أسموها حياة الكذب والخداع . . .

الخداع والنفاق هنا حيث يتستر الإنسان بالدين ليقف الألسنة ويغمض العيون

المس كل شىء . . . وذق كل شىء . . . فإذا زهدت أخيراً فأنت من المؤمنين المتطهرين . . .

أما أن تحبس نفسك بين جدران الهيام لتتقى الشر وتصون نفسك من إغراء الحياة . . . وتظن نفسك فاضلاً فأنت أضعف الضعفاء وأكذب الكاذبين . إن استطعت أن تعيش وسط الظلم صابراً وبين المجون طاهراً وفى أعماق الأضاليل نزيهاً فأنت مؤمن قديس . أما أن تحبس نفسك فى الدير فأنت بالحرمان المطلق تعيش فى كنف عبودية مراسيم لا تفقه لها معنى ولا حقيقة فأنت أشبه بالكافر . . .

وما الذى تجنيه من الدير ؟ عقلك يصاب بالشلل وقلبك يبليه السقم ، وأخيراً تموت

الرجل — سأموت عاجلاً أو آجلاً ولكننى أريد الموت على الصورة التى تحبب إلىّ ظلمة القبر وتهوّن علىّ وحشة الآخرة

الراهبة (متهكمة) — أى صورة ؟

الرجل (يتأملها طويلا) — فى صوتك حنانها وفى لمحاتك معانيها وفى معانيك فلسفتها ووحشيتها

الراهبة (وقد ملكتها الدهشة) — صورة من؟

الرجل — (متلعثما) صورة ... آه صورة.. من أبحث عنها .

الراهبة — عمن تبحث يا سيدي ... ؟

الرجل — كأن حقيقتها سكنت فيك .. ؟

الراهبة — آه، تبحث عن الحقيقة .. تضحك متهكمة ... كل الناس يبحثون عن الحقيقة ... والحقيقة ظل كل شيء فى الوجود. هى الضوء والنور، وهى الأمل واليأس، وهى الفرح والحزن ؛ وأخيراً هى الرجل والمرأة (تعاود الضحك) أى حقيقة تنشد يا سيد والحقيقة هى الصورة الرمزية للقدر ، هى القوة والضعف ، هى العدل والظلم ، هى الرحمة والرجاء... وأخيراً هى الحب

الرجل — (مبهوتا) كأنك هى .. أكاد أجزم. قلبي ينبأنى ... (يرتمى على الأرض فى شبه إعياء)

الراهبة — (وقد ملكتها الرحمة) إلى هذا الحد أنت تعب ... مسكين ... (تساعده على الجلوس) ... أنت جائع بلا ريب ... تعال معى إلى الدير لتأكل وتستريح

الرجل (محاولا أن يسترد قواه) — يا أختاه هل تسمحين لى بسؤالك ؟

الراهبة — سل !

الرجل — أمتصلة أنت بكل راهبات الدير ؟

الراهبة — بالتأكيد

الرجل — متى جئت الدير ؟

الراهبة — منذ عشر سنين (تتنهد) قبل أن يكتمل صباى ... كنت أخطو نحو الصبا فى عجالة ..

الرجل (متمتما) — بالضبط منذ عشر سنين ... هل تعرفين راهبة دخلت فى ذلك الوقت ؟

الراهبة — وماذا يهمك من هذه الراهبة ؟ هل تعرف أن الراهبات تناسين أبناء الدنيا ؟ وهل تظن أنها تسمح بمخاطبتك لو تقدمت إليها اليوم ... ؟ احفظ ماء وجهك ! !

الرجل — أريد أن أستغفرها

الراهبة — (مقاطعة وقد أحست بشعور مبهم) علام ؟

لقد غدرت بها من أجل فتاة غنية صورت لى المجد والعظمة فى الثراء ؛ فأنستنى المطالع المادية الحب والوفاء.. تركتها بعد أن تقبلت قبلها ... وتنحيت عنها فى جبن ونذالة، وآثرت فتاة اللهو بثرائها، عن فتاة الحب بشرفها ، فذهبت المسكينة المظلومة إلى الدير ، وكأنها ذهبت لتكون دعواتها أقرب إلى الله فانتقم منى لها !

عبثت المرأة الغنية برجولتى ، وهتكت شرفى وكرامتى ، وأخيراً لم يستطع بريق الذهب أن يهون على المصاب فيا بذلته من دماء شرفى ، ولم يستطع الجاه المزيف أن يرد على مجد الكرامة

ولما ثارت كرامتى لرجولتى . . . لطمتنى المرأة وطردتنى كما يطرد الكلب غير المرغوب فيه . . .

أدركت للتو أن الله انتقم للمسكينة البائسة . فجئت أبحث عنها راجياً أن أموت تحت قدميها

الراهبة — (بصوت منكسر حزين محاولة أن تخفى مدامعها) جئت بعد فوات الوقت . لقد ماتت !

الرجل (مذعورا صارخاً) — ماتت !

الراهبة — (فى اختناق) أجل ماتت فتاتك المحبة ...

الرجل — إذن يجب أن أموت ... فأين قبرها لأموت أمام بابه ، وأصلب نفسى على صليبه فأموت شهيداً ... ؟

الراهبة (مشيرة إلى شجرة بعيدة) — هناك ... حيث كانت دائماً ، وقد أوصت أن تدفن هناك

الرجل (يركع تحت قدميها) — باركينى يا أختاه واذكرينى عند ربك بأننى مت شهيداً إذ كفرت عن ذنبى — باركينى يا أختاه قبل أن أموت — ولتشهدى موتى لتذكرينى عند ربك بأنفاسك الطاهرة .

الراهبة — (تباركه) غفر الله لك .

الرجل (يتمشى مولياً وجهه شطر الشجرة التى أشارت إليها وهى تتبعه فى صمت رهيب وحزن قاتل حتى يبلغ الشجرة) — هنا دفنت ؟

الراهبة — أجل

الرجل — باركينى مرة أخرى

الراهبة (تشير بعلامة الصليب) — غفر الله لك

الرجل (يخرج الخنجر ويصوبه إلى صدره متمتماً) — متمتماً ... إيزيس ... إيزيس ... هأنذا أجيئك مغتسلاً بدمى لألقاك طاهراً .

الراهبة (تأخذ الخنجر من يده صارخة) — زكى ... ماتت إيزيس الساذجة ... وعاشت إيزيس المتحصنة الماكرة ... وستحيا للحياة بعد اليوم ...

الرجل (صارخا فى بشر وطلاقة) — إيزيس !

الراهبة — زكى !

إلى الحياة ... إلى الحقيقة ...

جميلة العلايلى

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

ابى العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »

ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً